www.nidaulhind.com

الرواية التوعوية أداة للحد من ظاهرة الادمان

- قراءة في رواية جرعة زائدة للروائية هيا الصالح -

أ.د. خالدة حاتم علوان/ الجامعة العراقية / كلية العلوم الاسلامية
Khalida.h.alwan@aliraqia.edu.iq
أ.د. ابتسام حاتم علوان / الجامعة المستنصرية / كلية العلوم السياسية
dr.ebtisam_h2016@uomustansiriyah.edu.iq
م.م. صبا حميد صالح / الجامعة المستنصرية / كلية العلوم السياسية
saba.hameed@uomustansiriyah.edu.iq

ينصرف مضمون هذا البحث الى تحليل دور الرواية في بيان مراحل تعاطي المخدرات لدى الفتيان والشباب ، بما فيها من اسباب ودواعٍ وتداعيات واثرها على الشخصيات الروائية بوصفها تمثلات لشخصيات واقعية يعيشها شباب اليوم، فالبحث يركز على البعد النفسي والاجتماعي لظاهرة الادمان ، كما يستهدف البحث شريحة الشباب والمؤسسات الحكومية والاهلية في مكافحتها ، والتنبيه لدور الاسرة في الحد منها ، لذلك سينتظم البحث في ثلاثة مباحث وفقا لما يعرضه المتخيل الروائي ، يتناول المبحث الأول الأسباب الداخلية والخارجية التي تسبب الادمان اذ عنونتها الدراسة بـ" سوسيولوجيا الانحراف"، فيما يتناول المبحث الثاني " العواقب وتجلياتها السردية " عبر تحليل تقنيات التمثيل السردي والوصفي لتداعيات الادمان على الفرد والمجتمع أي كيفية تصوير عالم المدمنين وتحويل الظاهرة الى تجربة محسوسة لدى القارئ ، اما المبحث الثالث فلقد حاول أن يطرح الحلول المقترحة لمعالجة تلك الظاهرة من وجهة نظر المتخيل الروائي في توظيف فضائه أداة للتغيير، فعنون بـ " الرؤية والخطاب أي البحث عن الوعي البديل ومسارات الخلاص" ، يسبقها جميعا مقدمة في مفهوم الإدمان وانواعه وسبب ظهور روايات اختصت في الكتابة في هذه الثيمة ، يلي تلك المباحث خلاصة تتضمن التأكيد على تكاتف العمل والتعاون بين البيت والمدرسة وبالتالي كافة مؤسسات المجتمع في محاولة بناء جيل سليم معافى من هذه الآفات التي تشل قدرات البلد وتمنع قيام تنمية بشرية شاملة .

كلمات مفتاحية : الرواية التوعوية ، ظاهرة الادمان ، جرعة زائدة ، سوسيولوجيا الانحراف.

Abstract

This study **(The Awareness Novel as a Tool to Reduce the Phenomenon of Addiction An Analytical Reading of the Novel “Overdose” by the Novelist Haya Al-Saleh**) analyzes the role of the novel in depicting the stages of drug addiction among

www.nidaulhind.com

adolescents and young adults — including its causes, motivations, and consequences — and how these are reflected in fictional characters as representations of real youths' experiences today. The research focuses on the psychological and social dimensions of addiction, targeting young readers as well as governmental and civil institutions involved in combating this phenomenon, while also emphasizing the family's role in prevention.Accordingly, the research is organized into three main sections based on the fictional imagination's portrayal of addiction. The first section, titled "The Sociology of Deviance," examines both internal and external causes that lead to addiction. The second section, "Narrative and Descriptive Techniques in Representing the Consequences of Addiction on the Individual and Society," explores how the novel artistically renders the addicts' world, transforming the phenomenon into a tangible experience for the reader. The third section, "Vision and Discourse: The Search for Alternative Awareness and Paths of Redemption," presents the literary solutions and reformative visions offered by the fictional world as a means of change.Preceding these sections is an introduction that defines addiction, its types, and the reasons behind the emergence of novels dedicated to this theme. The study concludes with recommendations stressing the necessity of collaboration among families, schools, and all societal institutions to build a healthy, resilient generation free from destructive habits that hinder national development and human progress.

Keywords: Awareness novel, addiction phenomenon, Overdose, sociology of deviance.

المقدمة

www.nidaulhind.com

يمكن وصف ظاهرة الإدمان اليوم بأنها من أخطر الظواهر التي ابتُليت بها المجتمعات الإنسانية الحديثة، إذ لم تعد مجرد حالة فردية تخص شخصًا بعينه، وإنما أضحت أزمة اجتماعية ونفسية وصحية متشابكة تعكس خللاً عميقًا في منظومات القيم والتنشئة والاقتصاد والسياسة. فالإدمان ليس مجرد عادة أو سلوك عابر يمكن علاجه بسهولة، بل هو مسار معقد ينشأ نتيجة لتفاعل عوامل داخلية (نفسية وبيولوجية) وخارجية (اجتماعية وثقافية)،وقد أشارت تقارير منظمة الصحة العالمية إلى أنّ الإدمان يمثل تحديًا عالميًا يتسبب في ملايين الوفيات سنويًا، فضلاً عن خسائر اقتصادية ضخمة ناجمة عن فقدان الإنتاجية وزيادة النفقات الصحية[1] . ويُقدّر أنّ أكثر من 35 مليون شخص حول العالم بحاجة إلى علاج متخصص من اضطرابات تعاطي المخدرات.

و يرى فرويد - في المجال النفسي -أن الإدمان هو صورة من صور الهروب من " مبدأ الواقع" إلى "مبدأ اللذة"، حيث يسعى الفرد إلى تجنّب القلق أو الألم عبر البحث عن المتعة اللحظية التي توفرها المادة أو السلوك[2] . فيما يعرفه علم الاجتماع - بحسب الخولي- بأنّه انحراف سلوكي يهدد النظام الاجتماعي القائم، لأنه يُخرج الفرد عن التزامات الجماعة وقوانينها[3]. وفي ذات السياق يرى عبد الله أن الإدمان ليس قرارًا فرديًا فحسب، بل هو نتاج لضعف مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي فشلت في احتواء الشباب وتقديم بدائل إيجابية لهم[4].

وتشير الدراسات إلى أنّ الإدمان يأخذ أشكالاً متعددة[5] ، منها:

1. الإدمان الكيميائي: مثل المخدرات والكحول والمؤثرات العقلية.

2. الإدمان السلوكي: مثل القمار، الألعاب الإلكترونية، الإدمان على الإنترنت، والتسوق المفرط.

3. الإدمان النفسي: وهو الاعتماد المرضي على الهواجس والوساوس والمخاوف الداخلية التي تقود إلى انهيار قدرة الفرد على السيطرة على ذاته.

---

[1] . تقريرمنظمة الصحة العالمية، جنيف 2021: 34، https://www.who.int تم الاطلاع بتاريخ 18/9/2025

[2] . فرويد، سيغموند. ما وراء مبدأ اللذة. ترجمة مصطفى صفوان. القاهرة: دار الطليعة، 2018: 41

[3] . الخولي، عبد الرحمن. علم الاجتماع الجنائي: دراسة في أسباب الجريمة والانحراف. القاهرة: دار الفكر العربي، 2016: 88

[4] . عبد الله، أحمد. الشباب والانحراف: مقاربة سوسيولوجية لظاهرة الإدمان. عمّان: دار الصفاء للنشر والتوزيع، 2019: 32

[5] ينظر : الدمرداش، عادل ، الادمان : مظاهره وعلاجه ، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، العدد 56 ، 1994 : 41

www.nidaulhind.com

اذ تشترك كل هذه الأنواع في سلب الفرد إرادته وتدمير قدراته على التكيف مع واقعه، وفي ظل هذه الخطورة، لم يكن غريبًا أن يسعى الأدب العربي الحديث إلى مقاربة هذه الظاهرة عبر ما يُسمى بـ الأدب التوعوي، الذي لا يقتصر دوره على السرد الفني، بل يتجاوزه إلى تحصين القارئ وتنبيهه من المخاطر، اذ يذهب شحرور إلى أن الأدب التوعوي "يُحوّل الظاهرة الاجتماعية إلى تجربة حسية جمالية، تجعل القارئ شريكًا في الألم ومسؤولاً عن تجنّب الانزلاق في التجربة"[6]، وقد كانت من أبرز النماذج الروائية التي تناولت هذا الموضوع، رواية "جرعة زائدة" للكاتبة هيا الصالح، التي استهدفت فئة الفتيان والشباب، مجسدة عبر شخصياتها وأحداثها كيف يقود الإدمان إلى التدهور الجسدي والنفسي والاجتماعي، وكيف يمكن للأدب أن يقدّم بدائل وعي ومسارات للخلاص، لذلك سيسعى هذا البحث إلى دراسة الرواية من ثلاث زوايا:

المبحث الأول: سوسيولوجيا الانحراف وأثرها في تشكيل مسارات الإدمان.

المبحث الثاني: العواقب وتجلياتها السردية.

المبحث الثالث: الوعي البديل ومسارات الخلاص.

المبحث الأول :سوسيولوجيا الانحراف واثرها في تشكيل مسارات الادمان

يعد مفهوم سوسيولوجيا الانحراف من المفاهيم التي انشغل بها علم الاجتماع، إذ يُقصد به دراسة الأفعال والسلوكيات التي تخرج عن معايير الجماعة وقوانينها، وما يترتب عليها من عقوبات رسمية ممثلة بالقوانين أو غير رسمية كالوصم الاجتماعي. فالانحراف ليس مجرد ظاهرة فردية، بل هو نتاج تفاعلات اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية، ولهذا فإن سوسيولوجيا الانحراف تركز على السياق الاجتماعي الذي يولّد السلوك المنحرف ويمنحه معناه، وتكتسب دراسة سوسيولوجيا الانحراف أهميتها اليوم في تحليل ظواهر معاصرة مثل الإدمان، إذ يُنظر إليه كسلوك اجتماعي منحرف يرتبط بعوامل بنيوية كالفقر، و البطالة، والتفكك الأسري وثقافية كقيم الجماعة وضغط الرفاق، وسياسية كضعف المؤسسات، ومن ثم فإن معالجته لا يمكن أن تكون طبية أو نفسية فقط، بل ينبغي أن تكون شمولية، تستند إلى فهم السياقات الاجتماعية التي تنتجه، لذلك سيحيل المفهوم الى تفكيك البنى الاجتماعية التي أنتجت تلك الظاهرة ، لا بوصفها فردية، بل بوصفها نتاجا اجتماعيا

[6] . شحرور، سامي. الأدب التوعوي: مقاربات في السرد العربي الحديث. بيروت: المركز الثقافي العربي، 2020: 55

www.nidaulhind.com

لمجموعة أسباب حاول النص الروائي تصويرها والتركيز على أهمها ، اذ تمثلت في محورين :

المحور الأول: الأسباب النفسية / الداخلية التي تمثل في طبيعة العلاقات الأسرية واثرها في تنشئة الاولاد وطريقة تفكيرهم وتقديرهم لذاتهم، فيسرد الراوي /مجدي جملة أسباب جعلته يدمن تلك المخدرات منها ، خوفه من المستقبل ووقوعه فريسة للأوهام ، اذ يروي معاناته مع تلك الحالة قائلا " أحياناً كنت أتذكر وفاة جدتي فيخطر ببالي أنني سأستيقظ صبحاً وأجد أمي فارقت الحياة ، وحين تسيطر علي هذه الفكرة قبل النوم أبدأ بالنحيب ورأسي مغطى باللحاف، كان ما أتخيله يبدو لي كأنه حدث بالفعل ، فأغرق في الحزن"[7].

وكذلك استذكاره هاجس الخوف فيما يتعلق بدرجاته الدراسية التي استذكرها بالقول" في طفولتي ، وخلال فترة الاختبارات المدرسية ، كنت أتخيل أنني رسبت في الاختبار وأنا لم أتقدم له بعد، فتسيطر علي الكآبة ، وينتابني الخوف من ردة فعل أبي"[8] ، اذ يقترن خوف الاخفاق مع خوف العقاب النفسي ، وعلى الرغم من محاولة الراوي تجاهلها الا أنها ظلت هاجسه الأكبر ، حتى وصلت الى تفكيره بأخته وتشاؤمه من المستقبل الذي يقد يحدد مصيرهما بالموت ، فيصف تلك الافكار قائلاً "لكن الافكار المقلقة عادت الى مهاجمتي بشراسة.. كنت أتخيل أن أختي التوأم ياسمين سقطت في بركة ماء كبيرة وغرقت ، أو أن أبي تعرض لحادث سير مروع ، أو أنني نفسي أصبت بتماس كهربائي خلال نومي ولم ينتبه أحد"[9].

ولما كان الترابط الأسري عماد العائلة ونجاها وديمومتها ، فلقد كان ذلك ما يفتقده الراوي/ مجدي ، فعلى الرغم من تلبية مطالبه وأخته التوأم ، الا انه كان بحاجة ماسة للمتابعة والاحتواء ولاسيما في مرحلته العمرية التي كان عليها ، فلقد كان كل فرد في العائلة منشغلاً تماما بهوايته وعالمه ، فيروي كيفية سقوطه السريع في عالم الادمان قائلاً " سرعان ما أدمنتُ الحبوب المخدرة ، وأصبحتُ أدخن بشراهة، وتجنبتُ الاحتكاك بأفراد عائلتي، ولم أجد صعوبة في تحقيق ذلك ، فأمي تقضي وقتها في متابعة برامج الطهو، و ياسمين تدرس أو تخرج مع صديقاتها أو تسمع الموسيقى في غرفتها ، وأبي منهمك في العمل حتى يبدو أنه غائب عنا تماماً كلٌ منا غارقٌ في عالمه وينزوي في صومعته"[01]، اذ ولد ضعف ذلك الرابط احساسا

---

[7] . جرعة زائدة: 36
[8] . جرعة زائدة : 36
[9] . جرعة زائدة : 38-39
[01] . جرعة زائدة : 57

بالعزلة والاقصاء الذي بدوره دفع الراوي مجدي الى البحث عن بديل زائف يمنحه المتعة المؤقتة والشعور بسد حاجاته النفسية.

والحال نفسه ينسحب على اصدقاء الراوي، اذ يسرد أسباب ادمان صديقتهم في المدرسة" هناء" التي حدثته عن " معاناتها بسبب انفصال والديها، وعن مركز التجميل الذي ادارته أمها ، وعن تفتح وعيها على عالم الألوان .. وضعتها أمها في مدرسة خاصة باهظة الثمن نكاية بطليقها ، لم يكن لهناء صديقات في مثل سنها ، لم تكن تخالط سوى مرتادات مركز التجميل ، فتعلمت التدخين وهي في الثانوية.. وحين عجزت أمها عن ضبط تصرفاتها أتصلت بطليقها وطلبت منه التدخل .. فاسترجع هناء لتعيش معه ومع زوجته وابنه وسيم"[11] ، ففقدان الترابط في انفصال والدي هناء عكس انهيار القيم العاطفية والاجتماعية وشعور المراهق بالضياع وانتفاء مفهوم النموذج جعلها ضحية الوقوع في الإدمان وتقليد نساء المراكز بدءا من التدخين حتى وصولها لمرحلة التعاطي، وهو ما اشار إليه الراوي في وصفه للحال الذي أصبحت عليه فلقد " تدهورت الحالة النفسية لهناء بسبب هذا الحصار فنأت عن الجميع ، وصارت تقضي كل الوقت وحيدة في غرفتها ، تدخن السجائر سراً، وانطفأ في عينيها حب الحياة والإقبال عليها ، لهذا حين عرض عليها " طارق" ذلك المسحوق الأبيض الذي يشبه الطحين مقنعا اياها أنه سينقلها الى عالم آخر، انصاعت له وبدأت تتعاطى"[21].

وفي مشهد مشابه يقدم للأسباب النفسية التي أوقعت صديقهم " آدم " في الادمان ، اذ يسرد الراوي السبب الرئيس قائلاً " انه ليس لديه عائلة بالمعنى الذي نعرفه. تزوجت أمه من أبيه الذي يعيش ويعمل في دولة أخرى، توفي أبوه في حادث تحطم طائرة وكانت أمه حاملاً به، فتزوجت بعد سنوات من رجلِ اشترط عليها ألا يعيش الصبي معهما في البيت، فاضطرت إلى استئجار غرفة وملحقاتها له في أحد طوابق البناية التي تقيم فيها مع زوجها . كانت تزوره لتطمئن عليه بين حين وآخر ، ولأنها تركته وحيداً أصبحت تغدق عليه النقود لتتخلص من شعورها بالذنب تجاهه"[31]،فالتعويض الذي حاولته الأم بوصفها تكفيرا عن ذنبها تحول الى تعويض سام ، عمق الشعور لدى المراهق بالنبذ من قبل الوالدين ، وهو يشير بوضوح الى انهيار وظيفة الاسرة التربوية ممثلة بالأم، فبدل ان تحتوي ابنها تكون هي مصدر

[11] . جرعة زائدة 21-22
[21] . جرعة زائدة : 22
[31] . جرعة زائدة : 85

ضياعه عبر توفير احتياجاته المادية التي تساعده في الوصول الى تلك المواد المخدرة.

وقد يرتبط النفسي بالاجتماعي فيكون سببا كبيرا في الإدمان ، ففي محاولة الراوي التخلص من مرضه النفسي ، استعان بالمصدر الخاطئ ، ممثلا بشبكة المعلومات ، فيصف محاولته تلك بالقول" كنت مصرا على التخلص من هذا القلق بنفسي، وبدأت أعمل على ذلك بكل الوسائل التي تعلمتها من" الانترنت " ، حتى وجدت مرة كلمة " مهدئات".. وبشكل ما ارتبطت في عقلي بكلمة " حشيش" "[41]، فالراوية تشير صراحة الى الدور السلبي للمنصات الرقمية في اقتراح العلاجات الزائفة للأفراد ، فضلا عن تمريرها لقلة وعي الجيل الرقمي وتكاسله واعتماده المطلق على التكنولوجيا في تنظيم حياته.

أما المحور الثاني فقد تمثل بالأسباب الاجتماعية / الخارجية التي تمثلت بدورها في البيئة الفاعلة خارج حدود البيت ومنها المدرسة أو مكان العمل ، فيصبح الفرد منتميا لجماعات منحرفة دون ان يدرك ذلك ، اذ يمثل التأثر ببعض مواقع التواصل الالكتروني والمنصات عاملا مهما في الترويج لتلك الظاهرة ، واثارتها لفضول المراهقين بوصفها ممنوعة ، ولان كل ممنوع مرغوب بالنسبة للشباب فقد يبدؤون بالتعاطي ، أو يجعلونها هدفاً في مراحل قادمة ، وهو ما أكده الراوي بالقول" تعرفت وأنا في العاشرة من عمري على المواقع الالكترونية الترفيهية، وأحببت النكات التي تبدأ بعبارة " مرة كان واحد محشش" بدا هذا المحشش طريفاً ويعيش حياةً مرحة، وحين قادني الفضول الى البحث عن معنى الكلمة، وجدت أن الحشيش مادة تجعل الشخص في حالة مزاجية جيدة ، فقررت أن أدخن الحشيش عندما أكبر"[51]،اذ يتضح دور مواقع التواصل في الترويج لتلك الظاهرة – دون وعي وادراك – للصورة التي تستقر في اذهان المراهقين ،فتلك المواقع تقوم بتقليل مخاطر التعاطي عبر طرحها بأسلوب فكاهي، ويشير تكرارها الى تأثير مباشر بتقبلها – كظاهرة طبيعية – ما يؤدي الى محاكاة المراهقين لتلك النماذج، وهو أخطر أسباب التعاطي باعتقادنا بسبب سيطرة التكنولوجيا وهيمنتها المطلقة على حياة الأفراد.

وتشكل المدرسة بوصفها بيئة تفاعلية أهم مصادر الانحراف – أحيانا – ولاسيما مع الأولاد المراهقين ، فبسبب خوفهم من التنمر والاستهزاء بهم من قبل اقرانهم من

---

[41] . جرعة زائدة : 40
[5151] . جرعة زائدة : 37

www.nidaulhind.com

المدخنين يحاولون اثبات قدرتهم في ممارسات الكبار ، اذ يصف الراوي بدايات التأثر بزملاء السوء في المدرسة ، بوصفها أولى بدايات الانحراف السلوكي قائلاً " وفي الثانوية تعلمت تدخين السجائر من رفاقي في المدرسة، صرنا ندخن في الحمامات أو في طريق عودتنا الى البيت . ورغم معرفتي أن التدخين يضر بمستقبلي كلاعب كرة قدم ، فأنني لم أتوقف ، بل إنني لم أفكر في التوقف أصلاً، خشيتُ أن يصفني الأصدقاء بالجبن، وأن ينظروا الي على أنني ما زلتُ طفلاً "[61]،اذ تشير الراوية – مؤطرة الخطاب ككل – إلى أزمة التحول العمري أو طقوس العبور والانتماء الى الجماعة – وتحديداً لدى الشباب – وهو ما يشكل أزمة للمراهقين فيجبرهم على تلك الممارسات – وإن كانت سلبية – بغية تأكيد هوية التحول الذكوري.

المبحث الثاني تقنيات التمثيل السردي والوصفي لتداعيات الادمان على الفرد والمجتمع.

يعَدّ التمثيل السردي والوصفي وسيلة مركزية في الأدب لعرض العواقب الاجتماعية والنفسية لظاهرة الإدمان. فالرواية لا تكتفي بعرض الظاهرة من منظور وصفي مباشر، بل تُعيد بناءها داخل شبكة من التقنيات السردية التي تُكسب النص قدرته على التأثير والإقناع، ولما كان هذا المحور تداعيات تجربة الادمان في العالم المعيش ، مقابلاً لكيفية سرد أو حكي التجربة في العالم الروائي المتخيل ، فلقد اقتضت الضرورة تفكيك البنية السردية للمتخيل ، بوصفه عملية تحويل التجربة المجردة الى تجربة حسية شعورية يعيشها القارئ – وتحديدا الفئة المستهدفة فيها وهم الفتيان ، لذلك فلقد تضافرت في تحليل هذا المحور أربعة عناصر (وجهة النظر والفضاء الروائي (الزمان والمكان) والشخصيات وبنية الأحداث ، وقبل البدء في تحليل عناصر عالم المدمنين المتخيل ، اقتضت الضرورة التوقف عند العتبات النصية ممثلة بلوحة الغلاف والعنوان ، فما يتعلق بالغلاف الروائي بوصفه عتبة نصية فلقد شكل الغلاف في العمل الأدبي، بحسب تصنيف جيرار جينيت ضمن نظريته عن العتبات النصية ، أحد أهم المكوّنات الموازية للنص. فهو ليس مجرد واجهة جمالية، وإنما خطاب موازٍ يوجّه أفق التلقي ويمارس سلطة على القارئ قبل أن يخوض في تفاصيل السرد. من هنا، يمكن القول إن غلاف رواية جرعة زائدة لهيا صالح يمثّل لحظة أولى من لحظات التلقي، تُوجِّه القارئ إلى زاوية نظر محددة

[61] . جرعة زائدة : 40

www.nidaulhind.com

إزاء موضوع الإدمان، وتضعه منذ البدء أمام رسالة توعوية ذات بعد وقائي، ففيما يتعلق بدلالة البنية البصرية للغلاف فلقد صورت على الغلاف شاب يرتدي سترة بغطاء رأس (هودي) يحجب ملامحه، في إيماءة صريحة إلى العزلة والانطواء. هذا الإخفاء للوجه ليس تفصيلاً شكليًا فحسب، بل هو رمز لفقدان الهوية، وللإقصاء الاجتماعي الذي يعيشه المدمنون داخل مجتمعاتهم. خلفية الصورة مكوّنة من جدار رمادي يمتد في فضاء فارغ، بما يعزز الإحساس بالبرودة والاغتراب والفراغ. وبهذا، يتضح أن التكوين البصري يشي بحالة من الانفصال بين الذات والآخرين، وبين الفرد والمجتمع، وهي إحدى النتائج الحتمية لظاهرة الإدمان.

أما دلالة اللون فلقد اختارت المصممة اللون البرتقالي لملابس الشخصية، وهو لون يتأرجح بين حيويّة الشباب واندفاعهم من جهة، ودلالته التحذيرية كونه قريبًا من ألوان الإشارات المرورية واللافتات التنبيهية من جهة أخرى. هذا التوتر في الدلالة يجعل اللون حاملاً لرسالة مزدوجة: فهو يعكس جاذبية الإدمان باعتباره تجربة مغامرة للشباب، وفي الوقت نفسه يرمز إلى خطورته القصوى وإمكان نهايته المأساوية. أما الخلفية الرمادية، فتقدّم امتدادًا بصريًا للقبح والبرودة، وكأنها فضاء اجتماعي خالٍ من الاحتواء، يترك الفرد عرضة للسقوط.

أما تمثلات توعوية العنوان (جرعة زائدة) فلقد جاء مكتوبًا بالخط الأبيض العريض، في وضوح ومباشرة تصادمان القارئ منذ اللحظة الأولى في محاولة تحقيق وظيفتين: الأولى جمالية بصرية تقوم على المفارقة بين بياض النص وحلكة الخلفية، والثانية وظيفية تحذيرية، إذ يواجه القارئ بتحذير مسبق من النهاية التي قد يصل إليها المدمن. كما أنّ إضافة عبارة "رواية للفتيان" تحمل بُعدًا تربويًا واضحًا، حيث توجّه الرواية للفئة العمرية الأكثر عرضة للانجراف وراء رفاق السوء، فتكون بمثابة رسالة وقائية مضمّنة في الخطاب البصري نفسه.

وعن علاقة الغلاف بالبعد التوعوي للرواية فلم يقتصر الغلاف هنا على أداء وظيفة إغرائية لجذب القارئ، بل يتجاوزها إلى أن يكون أداة توعوية موازية. فإخفاء الوجه يحاكي الوصم الاجتماعي الذي يعانيه المدمن، واللون البرتقالي يذكّر بخطورة الوصول إلى لحظة "الجرعة الزائدة" التي يعبّر عنها العنوان، فيما تعكس العزلة المكانية فراغ العلاقات الاجتماعية وانقطاعها. بهذه العناصر جميعًا، يتحوّل الغلاف إلى ما يشبه "النص البصري" الذي يسبق النص الحكائي، ليقوم بوظيفة مزدوجة: شدّ انتباه المتلقي، وتوعيته في الآن نفسه.

www.nidaulhind.com

إن تحليل الغلاف في ضوء نظرية العتبات النصية لجينيت يؤكد أنّ الرواية لا تُستقبل فقط عبر خطابها السردي الداخلي، بل أيضًا عبر خطابها الخارجي المرافق. ومن ثَمّ، فإنّ الغلاف يصبح جزءًا من المنظومة التوعوية التي تستثمر الأدب في مقاومة ظاهرة الإدمان. فالرواية ـ عبر غلافها ومتنها ـ تعمل معًا على إعادة تشكيل صورة المدمن في المخيال الاجتماعي ليس بوصفه مجرمًا منبوذًا فقط ، بل إنسانًا هشًّا يواجه خطرًا وجوديًا يمكن للمجتمع أن يقيه منه عبر الدعم والتوعية.

واجمالاً يمكن القول إن الغلاف في جرعة زائدة يحقّق وظيفة مزدوجة: جمالية-بصرية من جهة، وتوعوية-تحذيرية من جهة أخرى، وهذا يتوافق مع هدف البحث الذي يسعى إلى إبراز كيف تتحول الرواية إلى أداة للتثقيف الصحي والاجتماعي، إذ إن عملية التلقي تبدأ من العتبة البصرية الأولى (الغلاف) ولا تنتهي عند حدود المتن السردي، وهكذا، يصبح الغلاف جزءًا من الإستراتيجية الكلية للرواية، التي تسعى إلى الحد من ظاهرة الإدمان عبر مقاربة أدبية- جمالية قادرة على تحريك الوعي الفردي والجمعي في آن واحد.

نداء الهند

هيا صالح
جرعة زائدة
رواية للفتيان

www.nidaulhind.com

ويعد توظيف ضمير المتكلم من أبرز تقنيات التمثيل السردي ، حيث يُنقل السرد من داخل التجربة الذاتية للمدمن، بما يحمله من توتر وصراع داخلي الى القارئ، و هذه الاستراتيجية تعزز ما يُعرف بـ الاستغراق السردي التي تعني انغماس القارئ في عالم النص حتى يصبح أكثر استعداداً لتبني المواقف المطروحة [71].

وتمنح الاعترافات الداخلية التي تتخلل السرد القارئ إمكانية النفاذ إلى العوالم النفسية للشخصيات، فيتأثر وجدانياً بما تمر به من انهيار وفقدان للسيطرة، ففي محاولة الراوية جعل القارئ يتماهى مع الشخصية الرئيسة ، تبدأ الرواية منذ مفتتحها النصي بسرد الشخصية لتجربة الهروب ، اذ جاء عنوان الفصل (هروب ليلي) اقتران الحث بوقت الليل محاولا وصف احساسه في تلك اللحظات قائلاً " رميت حقيبتي من النافذة المنخفضة ، وقفزت هبوطاً نحو الأرض بسرعة ، أمسكت بها وعلقتها فوق ظهري، واصلت الركض بلا توقف إلى أن وصلت إلى مدخل الحي ثم انعطفت باتجاه الشارع العريض... استمررت بالركض الى وجهة غير معروفة ، لم أفكر لحظتها سوى بالهرب ، لكن إلى أين ؟! لم تكن لديّ فكرة واضحة ، كنت شديد الشبه بكرة انزلقت رغماً عنها فوق منحدر"[81]

فضلا عن توظيفها لتقنية الحوار لتعرض اصوات الشخصيات كافة ، والتي ستظهر التقاطع في وجهات النظر بين الشخيصة الرئيسة واصدقائه أولا ، وبينه وبين المجتمع ثانيا ، ومن ذلك رفض صديقته حنان في البداية مساعدته في سرقة مفتاح بيتهم ليتسلل ليلا ويأخذ أغراضه ويسرق أموال من محافظة أبيه ، فينقل الحوار بطريقة مباشرة "

- أحتاج إلى بعض الأغراض من غرفتي ، أريدكِ أن تجلبي لي المفتاح من دون أن ينتبه أحدٌ.
- هذه سرقة.
- ليست سرقة. إنه بيتنا ، وتلك أغراضي.
- ومن سيدلني على بيتكم؟
- سنذهب بسيارة أجرة ، وسأنتظرك عند مدخل الحي.

---

[71] . ينظر : Green, M. C.,&Brock, T. C. (2000). The Role of Transportation in the Persuasiveness of Public Narratives. Journal of Personality and Social Psychology, 79(5 .701- 721)

[81] . جرعة زائدة: 5

- وكيف سأصل إلى المفتاح؟ لابد من حيلة "[91]، اذ يظهر الحوار بدءاً حدة الصراع بينه وبين حنان وهو صراع قيمي واخلاقي يتجلى بين موقفين اليأس والحاجة والضمير والحدود الاخلاقية، وهو اشارة صريحة وتحذيرية للمزالق التي قد تنتظر المدمن.

أما البناء الزمني الاسترجاعي فلقد ساهم في إبراز المفارقة بين الماضي والحاضر. إذ يعود السارد إلى ذكريات الطفولة أو أوقات النقاء قبل السقوط في براثن الإدمان، ليضعها في مواجهة مباشرة مع الحاضر المظلم، هذه المقابلة الزمنية تُعمّق أثر المفارقة وتُبرز حجم الانحدار الذي يعيشه المدمن[02]،وهو ما اتضح في استرجاع مجدي لماضيه " كنتُ لاعباً جيداً في فريق المدرسة لكرة القدم، واستطعتُ انتزاع كأس الموسم للصفوف الثانوية، وبدأ الأستاذ " نبيل" إعدادي لمباراة اختيار اللاعبين لنادي الشباب الوطني لكرة القدم ، فأصبح الطلاب ينظرون اليّ على أنني نجم الكرة بلا منافس"[12]، فالراوي كان قد أدرك المستقبل الذي أضاعه عبر انحداره لهاوية الإدمان وضياع حلمه بعد إن كان قاب قوسين من التحقق.

وتؤدي التقنية الوصفية دوراً محورياً في تمثيل تداعيات الإدمان. فاللغة الوصفية تكشف التدهور الجسدي والعاطفي، عبر صور حسية دقيقة توضح أثر المخدر على الجسد والوعي: الارتعاش، والهلوسة، وفقدان الشهية، والانعزال عن الآخرين وهذا النوع من الوصف لا يكتفي بتقرير الوقائع، بل يعيد إنتاجها جمالياً بما يجعلها حاضرة في ذهن القارئ بصورة أكثر تأثيراً[22] وهو ما تمثل في وصف الراوية لمنظر النمر عندما شاهده مجدي لأول مرة ، فلقد كان " في منتصف العشرينات من عمره ، وجهه هزيل ، حتى إن بإمكانك أن ترى عظامه ، وشعره بني أشعث ، وعيناه العسليتان غائرتان في محجريهما تحيطهما هالة زرقاء ، أما لحيته فكثيفة غاب عنه تهذيبها منذ زمن"[32]، وكذلك الوصف السمعي حينما يصف الصوت الذي سمعه بعد النوبة التي انتابت " أسعد" صديقهم ، فيقول واصفا بعد ان اخذ سيكارة من النمر" التقطتها ، ولم أكد أضعها بين شفتي حتى علا صراخ في المكان، وظهر شاب من خلف الصناديق الكرتونية المكومة عند زاوية الغرفة التي لم تكن سوى مستودع ...

---

[91] . جرعة زائدة : 60.

[02] . ينظر: خطاب الحكاية ، بحث في المنهج، جيرار جينيت ، ترجمة " محمد معتصم – عبد الجليل الازدي- عمر حلي ، ط2 ، 1997: 67.

[12] . جرعة زائدة : 52

[22] . Rimmon-Kenan, Shlomith. (2002). Narrative Fiction: Contemporary Poetics (2nd ed.). London&New York: Routledge:58.

[32] . جرعة زائدة : 13

www.nidaulhind.com

أنا أعرف ما يحدث في النوبة ، حين يحتاج الجسد إلى المادة المخدرة ولا يحصل عليها .. لقد جربت ذلك مراراً وان لم يكن بمثل هذا المستوى من الانفعال والصراخ"[42]، فالألم والصراخ يظهران مفارقة المتعة التي كان ينشدها المدمن ، هي متعة وراحة زائفة ، بدليل معاناة الجسد والتوتر النفسي في غياب تلك الجرعات.

ويحتل المكان أهمية بالغة في التمثيل السردي يصور عالم المدمنين وسوداويته في اشارة الى تهميشه ورفضه – بوصفه ممثلا لفئة مرفوضة اجتماعيا – ،اذ يصف بؤس ذلك المكان قائلاً " درت بعيني أطالع تلك الفوضى المحيطة بي. شعرت بالحيرة الشديدة ، ولم أعرف ما أفعل ، ربما عليّ الآن الهرب من هذا المكان إلى الأبد ، و بما عليّ البقاء في هذا المكان إلى الأبد.. ترددت كلمة " مكان" داخا رأسي ، في الواقع من الصعب أن أسمي كومة القمامة تلك بـ " مكان" ، فكرت بماذا أسميها لكنني لم أعثر على مسمى يعبر عنها"[52]، فالمكان هنا ليس مجرد إطار للأحداث، بل بنية دلالية تعكس حالة التهميش والنبذ التي يعيشها المدمن في واقعه الاجتماعي[62] .

كذلك وصفه للمكان الذي ذهب إليه مجدي لأول مرة " كان المكان عبارة عن غرفة مبنية من الصفيح المعدني يعلوها سقف من غطاء بلاستيكي بهت لونه وتشققت أطرافه، بجانبها خزان مياه اسطواني وكومة من خردوات يذكرني تراكمها العشوائي بمكبات النفايات ، وبالقرب بعض قطع الطوب الملقاة على الأرض من غير انتظام، أوحي إلي مشهدها بأنها تستخدم للجلوس"[72]،يوحي وصف الراوي/ مجدي بصدمته في المكان الذي ظنه ملاذاً ، اذ كان تأكيدا لعزلته النفسية التي عانى منها ، لكنه على عكس بيت الأسرة كان عبارة عن مكان منبوذ يجسد الخواء الداخلي لساكنيه.

وتوظف عنصر الشخصية وما يطرأ عليها من تغييرات قبل وبعد الادمان ، في محاولة تتبع التدهور التدريجي للشخصيات المدمنة, اهمالها لحالها كالملابس والشكل والمستوى الدراسي والعلاقات الاجتماعية ، وهو ما تمثل بدءاً بمنظر الراوي / مجدي حين هاله منظره قائلا" نظرت الى انعكاس وجهي على زجاج

---

[42] . جرعة زائدة : 15

[52] . جرعة زائدة : 17-18

[26] Lefebvre, Henri. The Production of Space. Translated by Donald Nicholson-Smith. Oxford: Blackwell, 1991 : 72.

[72] . جرعة زائدة : 11-12

www.nidaulhind.com

النافذة المشظي ، هالني ما فيه من بؤس.. ؟ا .. أغمضت عيني وأنا أتسأل كيف دخلت إلى هذا النفق؟! كيف عبرت باب هذا العالم الأسود"؟!"[82] ، اذ تحاول الراوية – مؤطرة الخطاب- الى التركيز على لحظة التحول بالوعي والاحساس بالضياع ، فانعكاس الصورة البائسة للمدمن تشير الى انفصاله عن ذاته القديمة ، واغترابه عن عالمه ، فيما يكشف تساؤله عن ادراك لحظة انحداره الاخلاقي والنفسي وضياع هويته بين الأمس واليوم، وينسحب ذلك الحال – في اهمال المدمن لشكله – على صديقتهم " هناء " فلقد " لاحظ المحيطون انها ليست سوية .. لم تعد تصفف شعرها وهي التي كانت أجمل الفتيات وأكثرهن أناقة وترتيباً.. لم تعد تكترث بشيء ، حتى إن زميلاتها وجدنها مرة نائمة في الحمام"[92].

وفيما يتعلقببنية الحدث ، فلقد ابتدأت الروائية سردها من منتصف الاحداث ، من لحظة هروب الشخصية الرئيسة/ مجد من البيت بعد تحوله الى مدمن وذهابه الى منطقة نائية ومعزولة ، اذ تبدأ الرواية بلسان مجد موضحا الطريق الذي سلكه للهرب ، قائلاً "رميتُ حقيبتي من النافذة المنخفضة، وقفزت هبوطاً نحو الأرض بسرعة، أمسكت بها وعلقتها فوق ظهري وواصلتُ الركض بلا توقف إلى أن وصلتُ إلى مدخل الحي، ثم انعطفت باتجاه الشارع العريض ، وكان المساء حينها قد حل. استمررتُ بالركض إلى وجهة غير معروفة، لم أفكر لحظتها سوى بالهرب، لكن إلى أين؟! "[03]، فالنص يشير صراحة الى لحظة تمزق الرباط الاسري وانفصال الذات عن الاسرة، ما يشير الى لحظة ضياع وجودي يؤكده جهل الشخصية/ مجدي بوجهته، فبنية الحدث هنا تعمد الى تأكيد ثيمة الضياع والتيه الذي ينتظر المدمن ، اذ تعمد بنية الحدث الافتتاحية في الهروب الى اطلاق اولى تحذيرات المستقبل بالنسبة للمدمن .

هذه التقنيات مجتمعة تجعل النص الروائي أكثر قدرة على تجسيد العواقب المدمرة للإدمان، ليس فقط على المستوى الفردي – عبر تصوير الانهيار النفسي والجسدي – بل أيضاً على المستوى الجماعي، من خلال إظهار أثر الظاهرة على الأسرة، وانعكاساتها على الاستقرار الاجتماعي. وبهذا، يحقق السرد الأدبي وظيفتين جمالية وتوعوية وقائية .

المبحث الثالث :الرؤية والخطاب / صياغة الوعي البديل ومسارات الخلاص

---

[82] . جرعة زائدة : 51
[92] . جرعة زائدة : 20
[03] . جرعة زائدة : 5

www.nidaulhind.com

يُعدّ تناول مسارات الخلاص والوعي البديل من القضايا الجوهرية في تحليل الأدب المرتبط بظاهرة الإدمان. فالروايات التوعوية لا تكتفي بتشخيص الأزمة أو رسم العواقب المدمرة، بل تسعى إلى اقتراح مسارات للخلاص، بما يجعلها جزءاً من خطاب ثقافي يهدف إلى إعادة إنتاج قيم بديلة تعزز التعافي والاندماج الاجتماعي، وفي الرواية فهي لا تكتفي برسم المأساة وتجسيد العواقب، بل تتجاوز ذلك إلى تقديم خطاب إصلاحي يهدف إلى بناء وعي بديل ومسارات خلاص، فالعمل الأدبي هنا ليس مجرد تسجيل لواقع مأزوم، وإنما مشروع توعوي يُقترح من خلاله الخلاص الفردي والجماعي. وهذا يتفق مع ما يذهب إليه باختين من أن الرواية ليست انعكاسًا فقط، بل فضاء جدلي مفتوح يتيح إعادة صياغة العالم[13]، ، لذلك سيقترح هذا المحور دراسة تلك الصياغة في أشكال عدة ، هي:

1- مواجهة الذات والاعتراف

يشكل الوعي البديل ضدا للوعي الزائف اذ يعمد الوعي البديل إلى تقبل الأمر الواقع ومحاولة تشخيص اسبابه ومعالجته ،وهو ما تمثل في مواجهة مجدي لأزمته ومقارنة حاله بين الماضي والحاضر الذي وصل ليه، فيصف ذلك الشعور قائلاً: " انزويت في ركن المستودع ، ونظرت إلى موضع قدمي، بينما بدا عقلي أكثر صفاء، إنني غارق في هذا المستنقع من الوحل، لقد بدا بشكل أوضح أن العديد من الأشياء التي طالما حلمت بتحقيقها تساقطت من حياتي مثل أوراق الأشجار في الخريف ، وقريبا سينتهي كل شيء، أخرجت دفتر الملاحظات من حقيبتي وقلبته ، ثم كتبت على صفحته الأخيرة الحقيقة التي توصلت اليها " لا يفكر المدمن إلا في الجرعات، لا يهمه سوى الحصول عليها مهما كان الثمن"[23]، اذ تجعل الرواية من الاعتراف نقطة البداية نحو التحرر، فشخصية "مجدي" في لحظة وعي تقول: "لا يفكر المدمن إلا في الجرعات" هذه العبارة تلخص سجن الإدمان، لكنها أيضًا لحظة وعي بحجم المأساة، ووفقا لفرويد فإن مواجهة الذات شرط أساسي للتحرر من آليات "مبدأ اللذة"[33] . والرواية هنا تعيد صياغة هذا المفهوم بلغة أدبية، تجعل القارئ يدرك أن الخلاص يبدأ بالاعتراف لا بالإنكار.

2-فضح الأسباب الخفية والتي تمثلت في قضيتي التواطؤ وفساد المؤسسات ، فمفهوم التواطؤ - من منظور سوسيولوجي - يشير إلى تلاقي مصالح متناقضة،

[31] . Bakhtin, Mikhail. The Dialogic Imagination: Four Essays. Edited by Michael Holquist. Translated by Caryl Emerson and Michael Holquist. Austin: University of Texas Press, 1981:290.

[23] . جرعة زائدة : 76-77

[33] . فرويد، سيغموند. ما وراء مبدأ اللذة. ترجمة مصطفى صفوان. القاهرة: دار الطليعة، 2018: 41

فالمجتمع يُدين من جهة سلوك التعاطي علناً ويصمه بالانحراف، لكنه من جهة أخرى يساهم في إنتاج بيئة تسمح بانتشاره، وقد أظهرت دراسات في علم الاجتماع النقدي أن بعض مؤسسات المجتمع (مثل شبكات الاقتصاد غير الرسمي أو شبكات النفوذ) تستفيد من استمرار تجارة المخدرات، ما يؤدي إلى نوع من " التواطؤ البنيوي" بين المستهلك والمنتج والمحيط الاجتماعي[43] ، وهو ما اشارت اليه الرواية صراحة عبر تسلل (مجدي) و(آدم) للمركز الذي تتعالج فيه صديقتهم (هناء)، اذ يصف تواطؤ احدى العاملات هناك قائلاً " في مساء اليوم التالي تسللت مع آدم الى المركز.. ساعدتنا قريبته التي تعمل طاهية هناك، بأن عطلت كاميرات المراقبة في الساحة الخارجية وتركت باب المطبخ مفتوحا . رافقتنا حتى وصلنا إلى باب مغلق في نهاية الممر، وهناك قالت بصوت خفيض : " هيا ادخلا ..أمامكما ربع ساعة فقط"[53]،

أما فضح الفساد وكشف الاستغلال فلقد تمثل في ازدواجية دور المؤسسات العلاجية ونقدها وقد اشار الجندي إلى أنّ غياب الرقابة على المؤسسات العلاجية جعلها تتحول في بعض الدول العربية إلى "سجون جديدة" لا تقدم علاجًا حقيقياً[63]، وهو ما وضحته هناء لمجدي حينما سألها عن سبب تواجد صديقهم طارق في مركز معالجة على الرغم من عدم اصابته بالإدمان ، فوضحت هناء السبب موجهة الاتهم للمؤسسة بالقول" لأن هذا أفضل مكان يمكن الترويج فيه للسموم التي يبيعونها وبأسعار مرتفعة.. الذين يدخلون إلى المركز هم المدمنون، وهؤلاء يكونون بلا إرادة ويريدون تلك السموم بأي ثمن.. يمكن أن يتنازل أحدهم عن سيارته أو بيته مقابل عدد من الحقن أو حفنة من الحبوب أو كيس من البودرة .. هذه هي مهمة طارق ..هناك من يساعده داخل المركز.. عصابة"[73]، بهذا الطرح، تعرّي الكاتبة البُنى الاجتماعية والاقتصادية التي تتاجر بمعاناة المدمنين.

3-التضامن

[34] Alexander, Bruce K. The Globalization of Addiction: A Study in Poverty of the Spirit. Oxford University Press, 2008.

[53] . جرعة زائدة : 80

[63] . الجندي، محمود. الإدمان والمجتمع: دراسة سوسيولوجية لمراكز العلاج في العالم العربي. القاهرة: دار النهضة العربية، 2021 :221

[73] . جرعة زائدة : 83

www.nidaulhind.com

يعكس الحضور الإيجابي للأسرة دعما حقيقياً لخلق بيئة قادرة على التغيير السلوكي[83]، وهوما تمثل في عدة مواضع في الرواية ، منها مساندة اسرة مجدي في تخلصه من الادمان ومصارحة أهله بمخاوفه النفسية ، فوصفها قائلا " بدأت بعد جلسة المصارحة تلك أراجع أخصائياً نفسياً ساعدني في تجاوز الكثير من مخاوفي، وكان والديّ إلى جانبي ، يساندانني ويشجعانني، وكم شكرت الله من أعماقي أن لي عائلة ستمسك بيديوتنتشلني من أي عمق أسقط فيه، وتترك للأمطار أن تتساقط على قلبي بلطف"[93] ، وكذلك تضامن والد مجدي معه " فتحنا بقية الملفات ، واستمعنا إلى حوارات بين " طارق" وأشخاص مختلفين بشأن نوع البضاعة وقيمتها وسعرها...قررت ارسال الملفات إلى أبي عبر بريده الالكتروني، فهو يعمل في المحاماة ويعرف كيفية التصرف في مثل هذه المواقف"[04] ، اذ يعد دور الاسرة محوريا في تفكيك بنية الادمان عبب مستويين ، المستوى النفسي في دعم الأبن المدمن ، والمستوى الاجتماعي في الكشف عن تلك الجرائم المنظمة .

وكذلك مساندة حنان لمجدي وتشجيعه على ترك الادمان ، التي وصفها بالقول" استرجعت نبرة صوت حنان الصادقة حين قالت إنها ستساعدني ، وشعرت بحاجتي بالفعل الى سند يقف إلى جانبي لأعبر المحنة بسلام"[14] ، وكذلك مساعدة هناء له عبر تسجيلات لطارق كشفت فيه مواعيد توزيع المواد المخدرة وبيعها.

4-البحث عن الدعم : اذ تركز الراوية على التأكيد على دور المراكز العلاجية ، بوصفها فضاءً للخلاص الذاتي والتحرر من الوصم الاجتماعي وليست مجرد أمكنة واقعية توفر علاجا طبيا ،

وهو ما تمثل في أسئلة آدم لهناء ومحاولة معرفة تجربتها في المركز العلاجي " قال آدم إنه يريد التوقف عن التعاطي، لكنه يحتاج إلى الكثير من التشجيع والمؤازرة ثم توالت أسئلته التي لم تبخل " هناء" بالإجابات عنها:

ما الذي يقدمه المركز؟

كيف يتعامل الكادر الطبي مع المرضى؟

[38] . : 33 Bandura, A. (1977). Social Learning Theory. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

[93] . جرعة زائدة : 106

[04] . جرعة زائدة : 92

[14] . جرعة زائدة: 63

www.nidaulhind.com

كم تستغرق رحلة التعافي؟"[24]،فالرواية تحول التركيز – هنا- على الجانب الايجابي للمؤسسات العلاجية، بعد ان قد عرته في فضح ممارسات بعض الفاسدين فيه، بوصفه غير خاضع للرقابة .

و الرواية– في كل ذلك – لا تغلق أبوابها في وجه القارئ، بل تفتح إمكانات للخلاص. فمن خلال دعم الأسرة والاعتراف بالعلة، يبرز مسار التعافي.

الخلاصة

خلص هذه الدراسة إلى أن الرواية يمكن أن تؤدي وظيفة توعوية فاعلة في مواجهة الظواهر الاجتماعية السلبية، وفي مقدمتها ظاهرة الإدمان التي تُعدّ من أخطر التحديات التي تواجه الأفراد والمجتمعات على حد سواء. فمن خلال التحليل النظري والقراءة التطبيقية لرواية جرعة زائدة للكاتبة هيا الصالح، اتضح أن النص الأدبي قادر على تجاوز بعده الجمالي؛ ليتحول إلى خطاب وقائي يُسهم في إعادة تشكيل وعي القارئ تجاه الظاهرة.

كما أبرزت الدراسة أن الأسباب البنيوية والنفسية والاجتماعية للإدمان قد تمثلت في الرواية عبر شخصيات عانت من التفكك الأسري، وضغط الرفاق، والإحباط الناتج عن غياب القنوات المشروعة لتحقيق الطموحات. وكذلك جسدت الرواية العواقب الجسدية والنفسية والاجتماعية عبر تقنيات وصفية وسردية مؤثرة أبرزت الانحدار الجسدي والعزلة الاجتماعية، مما ينسجم مع نظرية الوصم الاجتماعي التي تفسر استمرار الأزمة عبر التهميش والنبذ والإقصاء.

ومن جانب أخر، أظهرت القراءة أن الرواية لم تقف عند حدود التشخيص، بل اقترحت مسارات للخلاص والوعي البديل، من خلال الاعتراف بالذات، وإبراز دور الأسرة، وأهمية المراكز العلاجية. وقد وظفت الروائية العتبات النصية (العنوان، الغلاف) وتقنيات السرد (ضمير المتكلم، الاسترجاع الزمني لتوليد وعي نقدي لدى القارئ، بما يعزز إمكانية المشاركة في التفكير ببدائل واقعية.

وتؤكد هذه النتائج أن الأدب، وبخاصة الرواية التوعوية، ليس مجرد انعكاس للواقع، بل أداة لتغييره، لأنه يُعيد إنتاج الظاهرة من منظور إنساني، ويمنح القارئ فرصة للتعاطف مع الضحايا وفهم جذور الأزمة والبحث عن حلول بديلة. وبذلك، تصبح

[24] جرعة زائدة : 81

www.nidaulhind.com

الرواية جزءًا من استراتيجية ثقافية شاملة لمواجهة الإدمان، إلى جانب الجهود الطبية والقانونية.

فتكمن القيمة المضافة لهذا البحث في إبراز دور السرد الأدبي بوصفه وسيطًا للتثقيف والوقاية، وتأكيد الحاجة إلى دمج الأدب والفن في السياسات التوعوية. فالأدب يمتلك القدرة على الوصول إلى وعي المتلقي بطريقة وجدانية، تجعل من التجربة القرائية بديلاً تربويًا وعلاجياً، وهو ما يفتح المجال أمام دراسات أوسع حول توظيف الأدب في معالجة القضايا الاجتماعية المعاصرة.

التوصيات

1. دمج الأدب التوعوي في المناهج الدراسية، ولاسيما الروايات الموجهة للفتيان مثل جرعة زائدة، لتكون أداة تربوية موازية تعزز الوعي بمخاطر الإدمان.

2. تشجيع الكتاب والأدباء على معالجة القضايا الاجتماعية الخطيرة - كالإدمان - بأسلوب أدبية قريبة من الشباب، لما للأدب من أثر وجداني أعمق من الحملات التوعوية التقليدية.

3. تفعيل دور الأسرة والمدرسة بوصفهما خط الدفاع الأول ضد الانحراف، من خلال توفير بيئة حوارية وداعمة تحمي الأبناء من اللجوء إلى المخدرات.

4. إصلاح المراكز العلاجية ومراقبتها للتأكد من نزاهتها وكفاءتها، وضمان عدم استغلالها لمعاناة الأسر والمدمنين.

5. توظيف الفن والإعلام في حملات توعية شبابية تعتمد على لغة بصرية وأدبية مؤثرة، بدلاً من الاقتصار على الخطاب المباشر أو الوعظي.

6. تعزيز البحث الأكاديمي متعدد التخصصات (الأدب، علم الاجتماع، علم النفس) لدراسة ظاهرة الإدمان، بما يساهم في وضع استراتيجيات وقائية وعلاجية أكثر شمولاً.

المصادر

أولا: النص الروائي : جرعة زائدة ، رواية للفتيان ، هيا الصالح، الآن ناشرون وموزعون ، عمان - الاردن، ط1، 2022.

ثانياً – المصادر العربية

www.nidaulhind.com

1. الجندي، سامر. (2021). المؤسسات العلاجية بين الإصلاح والاستغلال: قراءة نقدية في واقع مراكز علاج الإدمان العربية. القاهرة: دار النهضة العربية.

2. الخولي، عبد الرحمن. (2016). علم الاجتماع الجنائي: دراسة في أسباب الجريمة والانحراف. القاهرة: دار الفكر العربي، 2016

3. عبد الله، كمال. (2018). علم اجتماع الانحراف والجريمة. الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة.

4. فرويد، سيغموند. (2018). مبدأ اللذة ومبدأ الواقع: دراسات في التحليل النفسي (ترجمة جورج طرابيشي). بيروت: دار الطليعة.

6. شحرور، محمد. (2017). الأدب والوعي الاجتماعي: مقاربات في الأدب التوعوي العربي. دمشق: دار الفكر المعاصر.

6.. الدمرداش، عادل.)1994(. الإدمان: مظاهره وعلاجه. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة)عدد 56()

ثالثاً- المصادر الأجنبية

1. Bakhtin, M. (1981). The Dialogic Imagination: Four Essays. Austin: University of Texas Press .

2. Genette, G. (1980). Narrative Discourse: An Essay in Method. Ithaca, NY: Cornell University Press.

3. Green, M. C.,&Brock, T. C. (2000). The Role of Transportation in the Persuasiveness of Public Narratives. Journal of Personality and Social Psychology, 79(5).

4. Rimmon-Kenan, S. (2002). Narrative Fiction: Contemporary Poetics (2nd ed.). London: Routledge .

رابعاً- شبكة المعلومات :

1- تقرير منظمة الصحة العالمية https://www.who.int تم الاطلاع بتاريخ 18/9/2025